مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 15 العدد02 15ماي 2019م ص97-111

ISSN/2353-0197

منهج بن الأمين الشنقيطي في الرد على المستشرقين، كتاب:"طهارة العرب نموذجا"

The approach of Bin Al-Amin Al-Shanqeeti in response to Orientalists, Book: "The purity of the Arabs model"

د.بوها ولد محمد عبد الله سيدي[1]

Dr. Bouha Ould Mohamed Abdallah Sidi

المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية موريتانيا

Higher Institute of Islamic Studies and Research, Mauritania
Bouha.sidi@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/02/12م تاريخ القبول: 2019/02/18م

ملخص:

نتناول في هذه الدراسة أسلوب وفحوى رد بن الأمين الشنقيطي على كتاب الأمومة عند العرب الذي ألفه المستشرق الهولندي (جورج آلكزندس ويلكن) ، حيث جاء رد الشنقيطي في شكل كتاب سماه طهارة العرب ألفه سنة 1326هـ بقازان، وسنحاول من خلال هذه القراءة أن ننفض الغبار عن هذا المؤلَف ونطلع على أسلوب الشنقيطي في الرد على افتراءات المستشرقين، ونقف على مضامين كتابه. يذكر أن الشنقيطي أنفرد من بين الشناقطة في التأليف ردا على المسترقين، وأن كتابه متقدم نسبيا، ويمكن أن يصنف من ضمن المؤلفات الرائدة في الرد على المستشرقين من حيث الموضوع الذي يركز عليه.

[1] المؤلف المرسل: بوها ولد محمد عبد الله سيديBouha.sidi@gmail.com

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 15 العدد02 15ماي 2019م ص97-111

ISSN/2353-0197

Abstract :

In this study, we discuss the style and content of Ibn al-Ameen al-Shanqeeti on the book of Motherhood among Arabs , written by the orientalist George Alksandek Wilken. The response of Shankitti came in the form of a book he called the Purity of the Arabs in 1326 AH.

In this study, we will try to shake the dust off this book. And we look at the approach of Shankiti in response to the words of Orientalist. And we stand on the contents of his book. It is worth mentioning that Shankiti is unique among the writers in response to the infidels, and that his book is relatively advanced and can be classified as one of the leading authors in the response to orientalists in terms of the topic he focuses on.

أولا: نبذة عن المؤلف:

صاحب الكتاب الذي بين أيدينا أحمد بن الأمين[2] (1280 . 1331هـ/1863 .1913م) وهو أحد أقلام النهضة الحديثة الذين عايشوا بداية الانفتاح على الغرب وكتبوا عن الإشكالات التي تولدت عن هذا الاحتكاك، سافر من بلاده الموريتانية بعد أن تضلع بالثقافة المحظرية وكان ذا فضول معرفي كبير ما يدل عليه كتابه الوسيط المشحون بالأدب والنكت الفقهية والمواقع الجغرافية والأحداث وغيرها. سافر إلى الحج وزار في عودته مناطق كدمشق وتركيا وبلاد الروس، وآل به المطاف في القاهرة، له شرح دوانين ، هما ديوان طرفة والشماخ، بالإضافة إلى كتابه الوسيط المتقدم الذكر وكتاب طهارة العرب الذي بين أيدينا وغيره.

[2] : أحمد بن الأمين بن محمد الأمين ابن عثمان العلوي الشنقيطي، أحد العلماء الشناقطة، لغوي مشهور في القطر الشنقيطي.

ISSN/2353-0197

كتب عن ابن الأمين الشنقيطي وترجم له العديد، حتى صار ذكر بعض علماء مصر في القرن التاسع عشر يقترن بذكره من أوليك السيد محمد توفيق البكري، الذي صحبه بن الأمين وشرح كتابه صهاريج اللؤلؤ. وكذلك العلامة احمد تيمور باشا صاحب الخزانة التيموية النفيسة بما تحويه من مخطوطات ومطبوعات ثمينة، وكانت له صلات علمية بابن الأمين هو أيضا وغيرهم...الخ. وممن ترجم لابن الأمين من مؤلفي المشرق يوسف المرعشلي صاحب كتاب نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر (المرعشلي، 2006).

أما مؤلفاته فهي:

-الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع (في العلوم العربية)

-الدرر في منع عمر، أي في منعها من الصرف.

-طهارة العرب، وهو الكتاب الذي نتنا وله في هذه القراءة.

-شرح المعلقات العشر وأخبار قائليها.

-الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، وهو من أشهر كتبه.

-درء النبهاني عن حرم سيدي أحمد التيجاني.

أما ما حققه وشرحه من الكتب فهي:

-ديوان طرفة بن العبد.

-أمالي الزجاجي.

-صهاريج اللؤلؤ للسيد محمد توفيق البكري.

-ديوان الشماخ بن ضرار.

- ليس في كلام العرب لابن خالوية

- الإعلان بمثلث الكلام، لابن مالك.

- تحفة المودود في المقصور والممدود، لابن مالك.

- تصحيح كتاب الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني (طبعة الساسي)

ثانيا: فكرة الكتاب:

يعتبر كتاب طهارة العرب نموذجا سباقا في الرد على افتراءات المستشرقين بحق تاريخ العرب ونسب نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وقد ألفه بن الأمين الشنقيطي عندما كان مقيما بقازان حيث أطلعه أحد المسلمين هناك على كتاب الأمومة عند العرب للمستشرق الهولندي (ج.أ.ويلكن) ولم يوجد بين علماء روسيا من يتصدى لما تضمنه من تهم وتلفيقات، لكن بن الأمين دفعته الحمية لنبي الإسلام للرد عليه والذي نفى فيه نفيا باتا يعتمد التاريخ والمنهج العلمي كل التهم الموجهة إلى للعرب والمسلمين، والطعن في قيمهم وأخلاقهم، كالقول باشتراكهم في الفروج ولازدحام على النسوة، وكذلك ما رمى به العرب من اضطراب في الأنساب وعدم تماشيهم مع المثل الإنسانية حتى قال المهاجم "إن العرب أخس من الكلاب....".

فجاء رد بن الأمين مزكيا أنساب العرب عن ما رماهم به المستشرق، مستعينا بذخائر التراث العربي القديم الغني بالقصص والأحداث الأمثال الدالة على عناية العرب بالنسب وخطورة الاقتراب من الحريم أو

الخوض في الأعراض. وقد اعتمدنا على النسخة الأصلية من الكتاب والتي قدم لها الأستاذ موسى جار الله، بطبعتها الحجرية من الحجم المتوسط.

وقد أورد بن الأمين في مقدمة كتابه أن المستشرق لم يعتمد في تأليفه المنهج العلمي، ولم يستقصي الأخبار، من مصادرها وإنما نقل عن سائح يوناني مجهول لا يعرف له ذكر ولم يزر البلاد العربية، واعتبر بن الأمين أن الطعن في أنساب العرب جاء مع كتاب مثالب العرب لزياد ابن أبيه، الذي جمع فيه ضعيف الأقوال، و بأسلوب المتحامل وهذا الكتاب ولا يعتمد في مجال.

ولم يلق هذا الكتاب ما يستحق من تفاعل وتداس من قبل الباحث، فهو رائد في مجاله، ومتقدم نسبيا من حيث تأليفه، وإذا تم تصنيفه سيكون من جملة الكتب الأولى في الرد على المستشرقين.

ثالثا: الإطار التاريخي:

خرج بن الأمين الشنقيطي إلى الحج وزاده رصيد علمي يمثل جملة المعارف التي تدرس في بلده شنقيط، حاله في ذالك حال كثيرين خرجوا للحج وطلب للاستزادة من المعارف ومذاكرة علماء الأمصار الأخرى. خرج من بلده البعيد جغرافيا عن المشرق في ظروف صعبة، قاطعا فيافي الصحراء مع ركب قوافل الحجيج، وهناك عرف المسالك وتعرف على أهل الممالك، فلم يخطء مجلسا علميا من المجالس المعروفة إلا وزاره وعرف مبلغ علم أهله و قرأ نوازل علماءه، حتى رمى عصى الترحال في القاهرة.

كان بن الأمين يهتم بشؤون المسلمين ويسأل عنهم، ويطالع ما يكتب عنهم، حيث كانت الفترة فترة استعمار و صراع فكري محتدم خاصة في الأقطار غير العربية التي أشاع فيها المستشرقون شبه حول الإسلام و الظروف التي ظهر فيها، والترويج لادعاءاتهم قصد التنقيص من الحضارة العربية التي كانت حاضنة هذا الدين. تتلمذ على الشنقيطي طلاب من بلدان مختلفة، من بينهم طلاب من بلاد روسيا التي ألف فيها بن الأمين كتابه.

وقد عرف قرن بن الأمين ميلاد القوميات في أوروبا، وما كان لها من انتشار بفضل رواد الفكر من أدباء وفلاسفة سعوا إلى إحياء الآداب القومية، ودفعوا حركة التأليف في هذا الصدد قصد تمجيد تاريخ قومياتهم

ISSN/2353-0197

وبعث الروح في ثقافتها. وقد دفعت هذه الأحداث المستشرقين والكنسيين إلى التركز أكثر على إثارة الشبه حول العرب والمسلمين ونشرها. حيث بلغ الاستشراق في هذا القرن بالذات ذروته لما حظي به من دعم متزايد من قبل الحكومات الغربية التي كانت توفر له الوسائل والأسباب المعينة على دراسة إنثربولوجيا العالم العربي والإسلامي، وذلك لما يقدمه الإستشراق من خدمة المشروع الإستعماري فهذه البلدان (السلاتي، 1986).

وفي روسيا التي ألف فيها بن الأمين كتابه وخلال القرن 19م نشر المستشرق (رامل) كتابين: أحدهما "تأملات عن العرب" والثاني عن شخصية الملك العالم "أبو الفداء"، ونشر المستشرق (فرين) طبعة جديدة من القرآن الكريم كما طبع بعض الحكم العربية (الساموك، 2010)

وقد طلب من بن الأمين أحد مسلمي روسيا أثناء إقامته بقازن ان يرد على كتاب "الأمومة عند العرب" للمسترق الهولندي (جورج آلكزندس ويلكن) الذي يطعن من خلاله نسب نبي الإسلام والعرب بشكل عام، إلا أن أحد دعاة النصرانية هناك ترجمه إلى لغة القوم.

وحقيقة فكرة الانتساب إلى الأم في المجتمعات القديمة ظهرت عند بعض الرحالة والآنثربولوجيين أمثال (ماكلينان) في كتابه الزواج البدائي سنة 1865، والذي يعتبر فكرة الأمومة نشأة لعدم معرفة الأب، وقد تأثر بماكلينان المستشرق الإسكتلندي (وليم روبرتسون سمث)(1846-1894) الذي حاول إسقاط هذه النظريات على القبائل العربية القديمة في جنوب الجزيرة العربية وتبعه في ذلك المستشرق الهولندي (ويلكن) في كتابه "الأمومة عند العرب" الذي جاء الكتاب الذي بين أيدينا للرد عليه.

هذا الاهتمام الذي أولاه المستشرق الهولندي وغيره من المستشرقين للمعارف العربية والإسلامية، والبحث في تاريخ وتراث هذه الأمة له ما يفسره من تطور للحضارة الإسلامية و ازدهار معارفها خاصة في فترة العصور الوسطى، وهو ما شهد به المستشرق الفرنسي البارون(كرّا دي فو (1867_1953) (Baron Bernard Carra De Vaux حيث يقول:"والسبب الآخر لاهتمامنا بعلم العرب هو تأثيره العظيم في الغرب ، فالعرب ارتقوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى في الوقت الذي

كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت بالإعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها، لقد كان لهؤلاء العلماء (العرب)، عقول حرة مستطلعة" (محمود، 2000).

فتأليف المستشرق الهولندي إذن ليس اعتباطا بل تشويه متعمد أريد به النيل من الحضارة الإسلامية من خلال تشويه تاريخ العرب وتاريخ الإسلام بشكل عام، وهو ما حاول بن الأمين من خلال كتابه "طهارة العرب" أن يرد عليه بما يدحض ما فيه من إدعاءاته.

رابعا: أسلوب الكتاب:

وظف بن الأمين ثقافته الأدبية في الرد على المستشرق بشكل سردي، فبدل أن يرد عليه من صريح القرآن وصحيح الحديث، فاختار أن يركز رده على فترة ورد ت إدعاءات المستشرق فيها ما كان للعرب فيها من قصص تعلي من مكانة المرأة في المجتمع العربي الجاهلي، وما عرفته من أحداث واقتتال صونا لأعراضهن، فمن باب أحرى الحديث عن مكانتها التي بوأها الإسلام مصانة، عفيفة، وهو ما وجد له المقصد ووفق فيه إلى حد كبير.

لم يشأ الشنقيطي أن يقتصر كتابه في رد على مستشرق متحامل، بل أراد أن يكون بحثا شبه مستقل في موضوعه، مع أنه دحض كل مزاعمه، واقتصر ذكره للمستشرق في كامل الكتاب على جملتين في قوله: (وقال المعترض) والثانية في قوله: (كما زعم المتحامل).

وإن كان الشنقيطي اعتمد على حفظه الشواهد التي اعتمدها الشنقيطي مثبتة في مصادرها، فلم يخرج في القصص التي أوردها عن ما هو متواتر في كتبها، والحكم والأمثال في جوامعها، والأشعار في دواوينها، ومن قوة حفظه رحمه الله أنه استطاع أن يستظهر كل هذه المادة العلمية الضخمة وينظمها في شكل كتاب مستعينا على قوة حفظة، كما هي عادة الشناقطة في التأليف والتدريس.

وقد وظف لهذا الغرض القصص والأمثال والأشعار والحكم من التراث العربي وهو ما كان كافيا لدحض افتراءات المستشرق. فكان توظيف للقصص على قسمين: قسم دال على عفة النساء وصيانتهن في

ISSN/2353-0197

الجاهلية قبل الإسلام وقسم دال على علو همتهن وترفعهن عن سفاسف الأمور، وما كن فيه من إعزاز حتى لا يتزوجن من ليس بكفء . وهنا سنقف على نماذج نلخص فيها ردود الشنقيطي في الكتاب:

1- استحضار قصة طسم وجديس:(العرب البائدة)

نقل الإخباريون أن: طسم بن لاوذ بن أرم أو طسم بن لاوذ بن سام، أو طسم بن أو طسم بن كاثر. وقد جعلهم بعض أهل الأخبار من أهل الزمان الأول أومن عاد. وقد نسب إلى طسم صنما سموه(كثرى) لعله الصنم المذكور الذي أدركه الإسلام وحطم مع الأصنام الأخرى. (علي، 1993).

وأما عن جديس فأخبروا أنهم حي من عاد، وهم إخوة طسم أو أنهم حي من العرب كانوا يناسبون عادا الأولى، وقالوا أنهم أبناء جديس بن لاوذ إبن إرم بن سام بن نوح أو أبناء جديس شقيق ثمود بن غاثر إين إرم بن سام بن نوح (علي، 1993).

حاول المؤلف أن يستعرض من خلال هذه الواقعة التاريخة خطورة الحريم عند العرب وشدة الحساسية تجاه قضية المرأة عموما، وذلك أن طسما وجديسا كانوا قد تفانوا وانقرضوا، وسبب انقراضهم أن ملكهم عمليقا استنجدت به امرأة من جديس اسمها هزيلة عندما طلقها زوجها وأراد أن ينزع منها ولدها، ولكن الملك قضى بنزع ولدها منهما معا، فهجته المرأة ببيتين أستفز لهما، وأمر أن لا تزوج من جديس فتاة إلا افترعها حتى أراد فعل ذلك بشموس فحرضت قومها عليه بقولها:

لا أحد أذل من جديس ... أهكذا يفعل بالعروس!
يرضى بهذا، يا لقومي. حر! ... أهدى وقد أعطى وسيق المهر
لأخذه الموت كذا لنفسه ... خيرٌ من أن يفعل ذا بعرسه
وقالت تحرض قومها:
أيصلح ما يؤتى إلى فتياتكم ... وأنتم رجالٌ فيكم عدد النمل؟
وتصبح تمشي في الدماء صبيحةٌ ... شميسةٌ زفت في النساء إلى البعل
فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لا تغب عن الكحل!

ISSN/2353-0197

ودونكم طيب العروس، فإنما ... خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فلو أننا كنا رجالاً وأنتم ... نساءٌ، لكنا لا نقيم على الذل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافعاً ... ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم ... ودنوا لنار الحرب بالحطب الجزل (البغدادي، 2008).

ثم إن أخاها الأسود أحتال مع بني قومه لإبادة بني طسم في حادثة شهرة. (الشنقيطي، 1908)

و يستشف بن الأمين يستشف من هذه الحادثة عدم وجود الاشتراك في نسوة العرب قديما، بدليل أنه لو كان موجودا لاستدلت هزيلة في بداية القصة على الرجل بأن الغلام ليس منه، وإنما من غيره ممن يشتركون ويتزاحمون عليها في الفراش.

وقد ورد مقتضى هذه القصة في كتب الإخباريين، حيث أن:" طسما وجديسا سكنتا اليمامة معا وهي من أخصب البلاد وأعمرها، ثم انتهي الملك إلى رجل ظالم غشوم من (طسم) يقال له (عمليق) أو (عملوق)، استذل (جديسا) وأهانها، فثارت (جديس) وقتلت (عمليقا) ومن كان معه في حاشيته، واستعانت (طسم) بحسان بن تبع من تبابعة اليمن، فوقعت حرب أهلكت (طسما) و(جديسا)، وبقيت اليمامة خالية فحل بها بنو حنيفة الذين كانوا بها عند ظهور الإسلام" (علي، 1993)

وقد جاء ذكر *طسم* في شعر للحارث بن حلزة، إذ يقول:

أم علينا جرى إياد كما قيل لطسم أخوكم الأتباء

وقد ذهب المستشرقون إلى التشكيك بوجود طسم من حيث الأصل، ووصفوهم بالشعوب الخرافية التي ابتدعها الإخباريون،وهذا الرأي لا يستبعد منهم، والواقع أنه ليس من الستبعد أن يأتي يوم يعثر فيه على أخبار عن هؤلاء القوم، تؤكد ما تناقلها لإخباريون، خاصة بعد العثور على أثر يوناني في "صلخد"، يعود تأريخه إلى سنة 322م وردت فيه كلمة "أنعم طسم" (علي، 1993)

2- قصة: (إخاء) و(آكل المرار):

ومن الحوادث التاريخية التي استعان بها الشنقيطي لنفي فرضية المتحامل قصة (إجاء بن عبد الحي) الذي عشق امرأة يقال لها سلمى فلما أنذر بذلك أخوتها وزوجها لحقوا بهما، حيث قتلوا سلمى على جبل سمي بها بعد ذلك، ولحقوا (إجاء) في جبل آخر فقتلوه وسمي به. وهذا يدل على الحرص الشديد في نظافة العلاقة الزوجية وأسلوب التعايش الشخصي واضح خاصة إذا نظرنا إلى أن الجناة كانوا من أقرب الناس إلى الضحية.

ومن أنفة العرب للشذوذ الجنسي أو الحيدة عن نظام العلاقات العرفي، يورد المؤلف قصة (آكل المرار) الذي قتل امرأته هندا عند ما سباها (ابن الهبول) بعد منتهى من قتل هذا الأخير، وكل ذلك خشية وتأنفا من العودة إلى زوجته بعد ما نال منها ذلك الخبيث حاجته على حد وصف المؤلف (الشنقيطي، 1908).

3- استحضار قصة فاطمة الأنمارية:

ومن حسن توظيف بن الأمين للوقائع التاريخية ما أورده عن عفاف العربيات وحمايتهن لأعراضهن من دنس الرذيلة، و فاطمة هي بنت الخرشب الأنمارية ولدت لزياد العبسي الكملة: ربيعًا الكامل، وقيسًا الحافظ، وعمارة الوهاب، وأنس الفوارس (الصبان، 1997) التي ورد عليها ضيف فأكرمته وأحسنت قراه فراودها عن نفسها فزجرته، فلما أسر على خبثه أمرت عبيدها فكتفوه إلى أن شار عليها بنها الأكبر بقتله، لكن ابنها الربيع أعترض بقوله:"إن قتلناه قال الناس فعل بأمهم فاستحسنوا رأيه وأطلقوا سراحه" (الشنقيطي، 1908).

4- توظيف الأمثال:

ونجد بن الأمين يستطرد في ذكر الأمثال الشائعة لدى العرب و التي تشير أو تصرح بحرمة المرأة وخطورة الدنو من حريمها، فهي سر القبيلة ومكمن حساسيتها وهي الجرح الذي لا يندمل ولا يبرى حتى قالوا في المثل: وكلُّ شيءٍ *مَهَهْ* ومَهاهٌ ومَهاهَةٌ *ما النِّساءَ وذِكْرَهُنَّ*. وفي هذا السياق قصص النعمان مع زوجته

المتجردة، وكذلك قصة جدع بن سينان، ثم قصة محاولة استخدام أم عمرو بن كلثوم من طرف والدة عمرو بن هند

يقول عمرو بن كلثوم:

تهددنا وتوعدنا رويدا متى كنا لأمك مقتوينا

5- ظاهرة التحجب :

وقد استخدم المؤلف في استفاضة معهودة له، في سياق رده ما عرف قديما عن عرب الجاهلية من الحجاب، فكانت إذا بلغت الجارية مبلغ الحجاب يدخلها أهلها دار الندوة فيكسوها رجل من بني عبد الدار ذلك الستر .

وقد كانت الفتيات تشبه في منظومة العرب الشعرية وفي كثير من توظيفاتهم التصويرية بالكواعب في المقصورات من ذلك قول المضرس:

ويوم من الشعرى كأن ظبائه ....كواعب مقصور عليها ستورها

ويوم من الشعرى كأن ظبائه كواعب مقصور عليها ستورها

ومن العبارات التي تكررت في هذا الإطار الخدر والخباء وقد قال مرأ القيس وهو شاعر مفحش لكن فحشه وجسارته على اقتحام المصاعب والمهلوكات لم يدفه إلى تجاهل تلك الخدور والحجب المنصوبة حين قال:

وبيضة خدر لايرام خبائها تمتعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا علي حراصالو يسرون مقتل

فحالة المرأة العربية محاطة بالحرس وأشكال الأهوال والخطورات، وهو ما أشار إليه بن الأمين في استذكاره لهذه الأبيات.

أما رد الشنقيطي على تكرار وصف المرأة العربية في القصائد الغزلية والتي ينتشر فيها الفحش في كثير من الآداب غير العربية لحد التعرض للجوانب الجنسية والإباحية، فيضرب لذلك مثلا بإمرأ القيس: –الذي يوصف في كتب التراث الأدبي بأنه ضليل– يكثر من المغامرات العاطفية وقذع في الحديث عن أيامه مع الفحش حتى قال أبو سلما الجمحي كان أمرأ القيس ممن يعهر في شعره، ومع كل هذا الحد من الفحش نجده يصف النسوة بالعفاف ويذكر كل ما يتلقاه في سبيل هتكه لحرمتهن من خطر وأحراس، خاصة إذا استحضرت ان امرأ القيس كان معجبا بذاته وغالبا ما يستعرض وجاهته عند الغواني وحظوته لديهن حتى قال :

ويارب يوم قد أروح مرجلا حبيبا إلى البيض الكواعب أمسا

يرعن إلى صوتي إذا ما سمعنه كما ترعوي عيط إلى صوت أعيسا

كما أننا نجد في ديوان المديح العربي كثيرا من تبجيل الممدوحين بمراعاة حرمة البيوت حتى قالت الخنساء في رثاء أخيها صخرا :

لم تره جارة يمشي بساحتها لريبةٍ حينَ يخلِي بيتهُ الجارُ

وكقول أعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب :

ISSN/2353-0197

لايهتك الستر عن أنثى يطالعها ولا يشد إلى جاراته النظر

6- دقة السلاسل النسبية وحفظها:

تعرض بن الأمين بما عنوناه بهذا العنوان كمعلم واضح من معالم ثبات الأنساب العربية طرد أي شبه أو تشكيكات في صحة هذا النسب أم أحقيته، ذلك حين كان يرد على قوم صاحب الاعتراض إن العرب يستحيل معرفة الشخص منهم بأبيه وإن الأنساب المعلومة عندهم وضعها بن الكلب

ومن الشواهد التي أوردها قصة يزيد بن شيبان الذي صادف شيخا فقال له حين طلب انتسابه إن كنت في جذم من أجذام العرب لأعرفنك إلى أن قال إن العرب بنيت على أربعة أركان مضر وربيعة وقضاعة فمن أيهم أنت قال من مضر، قال الشيخ أمن الأرحام أم من الفرسان، قال يزيد من الأرجاء قال أمن الأرنبة أم من الجمجمة قال يزيد من الجمجمة يعنى الطابخة، ومازال يدخل معه في كل فرع وكل ولد حتى عرفه بيته ثم قال له ما افترقت فرقت من العرب إلا كنت في أفضلهما حتى زاحمك أخواك فأن تلدني أم مهما أحب أي من أن تلدني أمك، ثم قال يابن أخي وهل عرفتك قال يزيد أي وأبيك أي معرفة...

فالنسابون العرب إذن لم تخطئهم كبيرة ولا صغيرة ولا صبي ولا سقط إلا ضبطوه، وذكروه ولا يمكن أن يحصل هذا مع نسب موضوع، ولا يمكن لإدعاءات مبعثرة تشيع الانتساب والتبني أن تطعن فيه.

خاتمة

- يمكن القول عموما أن كتاب طهارة العرب كان مليئا بالردود الجيدة على كتاب المستشرق الذي ناقش فيه الإشكالية المعروفة الأمومة أقدم في العام أم الأبوة وحاول اجاد قرائن على الأمومة عند العرب بجهله وتحريفه لعاداتهم وتقاليدهم وهو ما ليقي رضا واسعا في صفوف دعاة النصرانية.

- اعتمد الكاتب في أسلوبه على الأحداث والوقائع التاريخية وهو أسلوب جيد إذا ما وضعنا في الحسبان أن سبب ما وقع فيه المبشر من الخطئ هو عدم معرفته بعوائد العرب في الانتساب إلى مرضعاتهم، وبالتالي كان يستعمله كدليل على الجهالة التي تحيط بالأبوة عموما وأنه تمظهر من تمظهرات اختلال النظام الاجتماعي في مجتمع العرب.
- قدرة المؤلف على استنباط الحج الدامغة من الوقائع والأحداث التاريخية، وتوظيفه بأسلوب ذكي للإشارات التي استنبطها من سرده، كما في قصة (هزيلة) من قبيلة (جديس) حين طالبت الملك عمليقا لإبقاء ولدها عندها متعللة أنها حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا، فذكر بن الأمين إلى أنه لو كان هناك نظام الاشتراك على النسوة كما أدعى المهاجم لاحتجت على زوجها بحجة أخرى، كالقول بأنه ليس منه ومثل هذا الاستنباط نلاحظه في استعمال الشنقيطي لثقافته الأدبية والديوانية إزاء وصف المرأة كما في تعرضه لظاهرة الحجب والمقصورات والأسترا.

- وعموما فمما يشفع للشنقيطي أنه كان نموذجا فريدا وسابقا في الرد على أكذوبات بعض المستشرقين أو أعمالهم التي جانفوا فيها الدقة والموضوعية وجانبوا الأسلوب العلمي الرصين.

- ملحوظة واردة في عدم التعرض الشنقيطي خلال رده على جزئيات الخطاب المشوه بالصورة التي تدفعنا إلى الاقتناع بهذه الفكرة أو تلك مع التعرض لخفاياها وإضاءة بعض جوانبها المهمة حتى إن المطالع لهذا الكتاب المدافع عن العرب قد لا يظن أنه جاء ردا مثلا على كتاب قبله أو يفند مزاعم سبقته، بل على انه كتاب مستقل له موضوعه ومنهجه، ولكن هذه الملاحظة عليها بعض لاستثناءات كما رأينا عندما قام بسرد قصة الشيخ مع يزد بن شيبان في انتسابه إلى بعض فروع مضر حيث نص على أن ذلك كان في معرض قول المهاجم إن العرب يستحيل معرفة الشخص منهم لأبيه، وإن الأنساب عندهم وضعها ابن الكلب، والثانية وصفه فيها بالمعترض في قصة صاحب القرظ لما طلب من زميله أن يزويجه من ابنته إن أخرجه من البئر فرفض حتى لا يكون تزويجها قسرا حتى هلك في البئر. وختم الشنقيطي القصة بقوله "لا، كما قال المعترض من ابتذالهم لهن".

ISSN/2353-0197

المراجع:

- نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر،ص:96. يوسف المرعشلي، دار المعرفة –بيروت 2006.
- الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى نصر السلاتي، ص:8، دار إقرأ طرابلس، ليبيا، ط1، 1986
- الإستشراق في الدراسات الإسلامية، سعدون الساموك، ص:163، دار المناهج، بدون سنة الطبعة.
- معجم افتراءات الغرب على الإسلام، أنور محمود زناتي، إخراج موقع نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بدون ط، وبدون السنة. ص:50
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ،جامعة بغداد، ص ص:-334-335، ط:2، 1993.
- حول العرب والقبائل البائدة، سعود الزيتون الخالدي ص ص :7:23 ، العدد:18.
- كتاب خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي(1/250) ، نسخة الموسوعة الشاملة.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ،جامعة بغداد، ص:335، ط:2، 1993.
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن على الصبان الشافعي، ج1،ص:354،دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.